الجـــزء I

PART I

فهْم المنْظور العام للبحث النوْعي

UNDERSTANDING THE LANDSCAPE OF QUALITATIVE RESEACH

1- التفكير بما يمُاثل الباحث النوْعي

2- البناء على معارف البحث الكمّي لتنفيذ البحث النوْعي

3- جعْل مشروع بحثك النوْعي صارمًا ومثيرًا للاهتمام الفكري

4- إدارة الانفعالات الصعْبة التي تنشأ أثناء البحث

5- العمل مع مُشرفي البحث ولجانه العملية

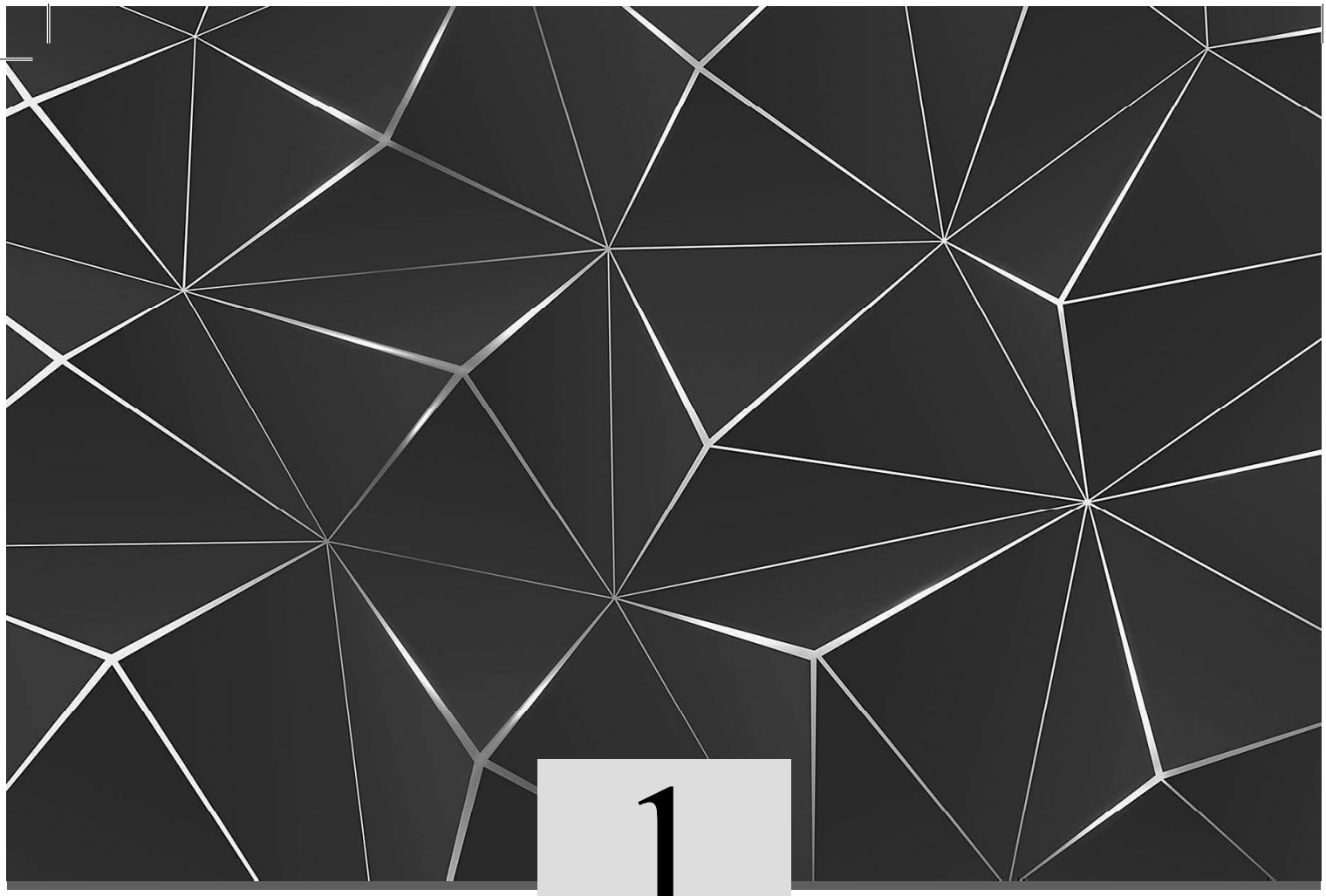

1

التفكير بما يمُاثل الباحث النوْعي

(THINKING LIKE A QUALITATIVE RESEARCHER)

SKILL	المهارة
تنمية مهارة التفكير بما يُماثل الباحث النوْعي.	

لماذا تكون المهارة مُهمَّة (WHY THE SKILL IS IMPORTANT)

يتطلب البحث النوْعي أن يتناول الأشخاص البحث من منظور أنه ربما يختلف عما تعلَّموه سابقًا. فهو يتطلب التفكير بطريقة مختلفة عن منظورات البحث الكمِّي. وتكون المهارة مُهمَّة أيضًا، وذلك لأنه يوجد في وقتنا الحاضر أنواعًا كثيرة للبحث النوْعي. فبعض الأفراد يستخدمون بدرجة أكبر المدخل الفلسفي، أو المدخل النظري، أو مدخل الدفاع، أو التركيز بدرجة أكبر على موضوعات محدَّدة، مثل: تحليل البيانات، أو الصدق. ولكن مدْخلنا هو مدخل الطرائق القوية بدرجة أكبر؛ حيث أكَّدنا طرائق صارمة، وبروتوكولات جديدة لجمْع بيانات متعددة ومتَّسعة، وخطوات متعددة في تحليل البيانات. وسوف ترى أن مدْخلنا انبثق كطريقة بُنيوية لإجراء البحث النوْعي (مثل: كتابة عبارة تصوغ الغرض، واستخدام برمجية حاسوبية). ولذلك، فإن فهْم المهارة يُعد أمرًا مُهمًا أثناء تنميتك كباحث نوْعي، وكذلك أثناء فهْمك مدْخلنا للموضوع.

عملية البحث (THE RESEARCH PROCESS)

إن البحث النوْعي هو مدْخل للاستقصاء، ويتْبع الطرائق التقليدية لإجراء البحوث الاجتماعية، والسلوكية، والعلوم الصحية. ومن هذه **العملية البحثية**، يبدأ القائم بالاستقصاء بمشكلة تحتاج إلى حل، ومن ثم يصوغ سؤالاً إذا ما أُجيب عليه، سوف يساعد في حل المشكلة. وسوف يُجاب على السؤال بجمْع بيانات وتحليلها. ويتم جمْع هذه البيانات من أُناس يمكنهم المُعاونة في إجابة السؤال. وبمجرد أن تُجمع هذه البيانات ويتم تحليلها، فإن القائم بالاستقصاء يكتب بعد ذلك تقريرًا للدراسة، يُلخص فيه النتائج. ويتم نشْر هذه الاستنتاجات في أنواع كثيرة من التقارير، مثل: رسائل الدكتوراه والماجستير، والدوريات، والخطط التي تقدَّم للحصول على تمويل، ودراسات الهيئات المحلية. وهذ العملية ربما تكون مألوفة لكثير من الباحثين المبتدئين.

مداخل مختلفة لهذه العملية البحثية
(DIFFERENT APPROACHES TO THIS RESEARCH PROCESS)

لدينا ثلاثة أنواع عامة من البحوث تتْبع هذه العملية للبحث: الطرائق الكمِّية، والنوْعية، والمُختلطة. ولا يقسِّم جميع الناس الأنواع العامة للبحوث في هذه الأنواع الثلاثة، ولكن هذه هي الطريقة التي نراها فيما يتعلق بهذه الأنواع، والتي كتبْنا عنها. وكل من مداخل البحث الكمِّي والنوْعي كان موجودًا منذ زمن طويل. ففي بدايات القرن العشرين، طوَّر العلماء إجراءات التجارب الكمِّية والمُسوح، وابتكروا طرائق مختلفة للتحليل الإحصائي للبيانات. وفي هذه الفترة المبكرة أيضًا، أنبثق البحث النوْعي من كتابات علماء

الأنثروبولوجيا. ثم علماء الاجتماع. وعلى الرغم من أن البحث النوْعي كمدْخل يعود بدرجة كبيرة إلى منتصف التسعينيات من القرن الماضي، إلاَّ أنه تطوَّر سريعًا خلال أواخر التسعينيات، واستُخدم بغزارة في العلوم الاجتماعية والسلوكية خلال الأربعين عامًا الماضية. والطرائق المختلطة جديدة، حيث بدأت منذ 25 عامًا الماضية خلال أواخر الثمانينات من القرن الماضي، وقام كُتَّاب كثيرون بتطوير المظاهر التي نعرفها الآن.

كيف يُفكِّر الباحثون النوْعيون
(HOW QUALITATIVE RESEARCHERS THINK)

إن الفكرة العامة المتعلقة بالنظر إلى الكيفية التي يفكِّر بها الباحثون النوعيوُّن ويتناولون العَالَم الاجتماعي، نتجت من إعداد المؤلف (John) "اختبار قصير في الاستقصاء النوْعي"، وطبَّقة عددًا قليلاً من المرات على الطلبة الذين دَرَسُوا مقررات البحث النوْعي. وذكرَ لهم أن الهدف من هذا الاختبار القصير الذي اشتمل على (30 سؤال)، هو تحديد ما إذا كانوا سوف يُصبحون باحثين نوْعيين جيِّدين، وهدفت الأسئلة لاستثارة استجابات لها. وقد ساعدت هذه الأسئلة في تحديد ما إذا كان الطلبة لديهم خصائص اقترنت في معظم الأحيان بالبحث النوْعي. وفي الإجابة على هذه الأسئلة، ذَكَر المؤلف (John) أن الباحث النوْعي فَعَل ما يأتي:

- رَأَى الصورة الكبيرة
- أقام روابط بسهولة
- أحبَّ الكتابة
- أحبَّ رسْم صُور
- نظَّم معلومات متفرقة في أقسام
- رَأَى أشياءً غير عادية في تفاصيل يومية
- رَأَى منظورات كثيرة عن الأشياء
- أحبَّ الاستكشاف
- أحبَّ العمل بغير براعة
- رَأَى كيفية العدّ، ولكن أحبَّ الكلمات بدرجة أفضل

فمثلاً، أحد الأسئلة في الاختبار القصير سأل الطلبة عما أنهم لو وقفوا عند مَدْخل الحديقة الوطنية لجبال روكي ونظروا بعيدًا، فهل رأوْا المنظر الأكثر اتساعًا للسلاسل الكلية للقِمم والوديان، أم رأُوا تفاصيل

كل شجرة. إن الباحث النوْعي يسعى في معظم الأحيان إلى "الصورة الكبيرة" وليس إلى التركيز على العناصر منفردة. (كما يفعل الباحث الكمِّي). ومن الجدير بالذكر، فإن المؤلف (John) لم يُطبِّق هذا الاختبار كثيرًا. فالطلبة تخوَّفوا من أنهم يُخفقون كباحثين نوْعيين في أول درْس لهم.

ومما لا شك فيه، أن الاختبار القصير قد ركَّز على التوجُّهات الشخصية للباحثين النوعيِّين. ولكن الاختبار جَعَل المؤلف (John) يظن أنه توجد طريقة ربما ينظر بها الباحثون النوعيُّون إلى العَالَم الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وسوف تكون المهارة الأولى هي توصيل حسّ عام عمَّا ربما تكون عليه هذه الرؤية. ولذلك، فقد غيَّر المؤلف (John) النشاط المدْخلي لمقرراته في البحث النوْعي، وحوَّل تركيزه إلى صورة واحدة. وأراد بالأساس أن يفْهم من الطلبة ما الذي يعنيه البحث النوْعي بالنسبة لهم. فنحن نجعل وصْف البحث النوْعي في معظم الأحيان صعبًا للغاية، في حين أنه يمكن اختزاله بالأساس في عدد قليل من الأفكار المفتاحية. فعلامة المفكِّر الجيد هو القدرة على التصوُّر الفكري بطريقة بسيطة، وكذلك بطريقة معقدة. فهناك طريقة لوصْف البحث النوْعي ببساطة، وهي مناقشة الكيفية التي يفكِّر بها الباحثون النوعيُّون عندما يواجهون موضوعًا بحثيًا، ولذلك، فإنه بدلاً من اختبار قصير، قرَّر المؤلف (John) إعطاء طلبته صورة ينظرون إليها ويصفونها.

صورة القَارِب (THE BOAT PICTURE)

قدَّم المؤلف (John) صورة قوارب على البُحيرة. ومعظم الناس ليس لديهم أُلفة بهذه الصورة، وطَلَب من طلبته ببساطة وصْف ما رأوه في الصورة.

وعلاوة على ذلك، طَلَب منهم كتابة فقرة قصيرة عمَّا رأوه في الصورة. وما كتبوه نَزَع إلى التصنيف في مجموعات ملاحظات نوْعية أو كمِّية. وأتاح ذلك الفُرصة للمؤلف (John) لتوضيح الكيفية التي يُلاحظ بها الباحثون الكميُّون والنوعيُّون منظرًا معينًا.